نقد النقد Critique de la critique عند الأسود الغندجاني

كتاب: "فرحة الأديب"(1) مقاربة نقدية

أ. مختار بن قويدر
معسكر

- تعريف :

الأسود الغندجاني (-هـ / -م) : الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسّابة . وغندجان بلد قليل الماء، يقع بفارس،و لا يخرج منه إلاّ أديب أو حامل سلاح . وكان الأسود صاحب دنيا وثروة. كما كان لا يقنعه أن يردَّ على أئمة العلم ردّاً جميلاً حتى يجعله من باب السخريَّة والتهكم والظَّنِّ بهم . ويقال أنه كان يتعاطى تسويد لونه ويدَّهن بالقطران ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي وكان قد رزق في أيامه سعادة لأنه كان في كنف الوزير أبي منصور بهرام وزير الملك أبي كاليجار . فكان إذا صنَّف كتاباً جعله باسمه وكان يفضل عليه إفضالاً جمّاً.

- مؤلفاته:

حسب ما يذكر البعض من المؤرخين، أنّ الأسود الغندجاني كان عالما بالأدب، نسّابة، و له التصانيف العديدة.(2)

و يمكن أن نذكر منها:

1- كتاب السَّلِّ والسَّرقة .

2- كتاب فرحة الأديب في الردّ على يوسف بن أبي سعيد السِّيرافي في شرح أبيات سيبويه

3- كتاب ضالَّة الأديب في الردّ على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب .

4- كتاب قيد الأوابد في الردّ على السِّيرافي في شرح أبيات إصلاح المنطق.

5-كتاب الردّ على النّمري في شرح مشكل أبيات الحماسة.

6-كتاب نزهة الأديب في الردّ على أبي عليّ في التذكرة .

7- كتاب الخيل مرتّب على حروف المعجم .

8- كتاب أسماء الأماكن.(3)

- التعريف بالكتاب:

كتاب "فرحة الأديب" وضعه صاحبه في الرد على يوسف بن أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه، و هو حلقة من سلسلة نقود، وجهها إلى ابن الأعرابي، و أبي علي الفارسي، و أبي عبد الله النحوي، و قد خص ابن السيرافي(-385هـ) بكتابين منها الأول:"قيد الأوابد"، ردّ به على كتاب ابن السيرافي بالنقد في 134 فقرة من أصل 727 فقرة اشتمل عليها كتاب ابن السيرافي.

و الغريب أنه لا يروي في كل كتبه إلا عن شيخ واحد هو: أبو الندى محمد بن أحمد.

يقول ياقوت الحموي:"وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبي الندى، وهذا رجل مجهول لا معرفة لنا به.

وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيره بذلك ويقول: ليت شعري، من هذا الأسود الذي قد نصب نفسه للرد على العلماء؟ وتصدى للأخذ على الأئمة القدماء، بماذا نصحح قوله؟ ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العالم؟ لا شيخ مشهور، ولا ذو علم مذكور. قال المؤلف: ولعمري إن الأمر لكما قال أبو يعلى: هذا رجل يقول: أخطأ ابن الأعرابي في أن هذا الشعر لفلان، إنما هو لفلان بغير حجة واضحة، ولا أدلة لائحة، أكثر من أن يكون ابن الأعرابي قد ذكر من القصيدة أبياتاً يسيرة فينشد هو تمامها، وهذا ما لا يقوم به حجة على أن يكون أعلم من ابن الأعرابي الذي كان يقاوم الأصمعي، وقد أدرك صدراً من

العرب الذين عنهم أخذ هذا العلم، ومنهم استمد أولو الفهم. وكان الأسود لا يقنعه أن يرد على أئمة العلم رداً جميلاً، حتى يجعله من باب السخرية والتهكم، وضرب الأمثال والطير."(4)

كما كان شديد التحامل في بعض الأحيان – وسنرى هذا أثناء تطرقنا إلى نقده- وقد أورد ياقوت الحموي الكثير من انتقاداته في معجم البلدان.(5)

طبع الكتاب لأول مرة في دمشق سنة 1981م بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني، معتمدا أربع نسخ من مخطوطات الكتاب، أهمها مخطوطة دار الكتب المصرية، فرغ ناسخها من نسخها يوم الأحد 29 شعبان 592هـ ومنها نقل البغدادي صاحب الخزانة نسخته.

وقبل الشروع في استعراض ما نقد به الغندجاني ابن السيرافي، حري بنا أن نعرف معنى النقد لغة.

فصاحب القاموس المحيط يعرفه قائلا:"..فالنَّقْدُ : خِلافُ النَّسيئَةِ وتمييزُ الدراهِمِ وغيرِها، كالتَّنْقادِ والانْتِقادِ والتَّنَقُّدِ ،وإعْطاءُ النَّقْدِ والنَّقْرُ بالأصْبَعِ في الجَوْزِ ، وأن يَضْرِبَ الطائرُ بمِنْقادِهِ أي : بمِنْقارِهِ في الفَخِّ والوازِنُ من الدراهِمِ واخْتِلاسُ النَّظَرِ نحوَ الشيءِ ولَدْغُ الحَيَّةِ وناقَدَهُ : ناقَشَهُ"(6)

أما الخليل بن أحمد فلا يبعد كثيرا عن الفيروز آبادي:"النَّقْدُ: تَمييز الدَّراهِم وإعطاؤكهَا إنساناً وأخذُها وأرْنَبَةٌ لكَ مُحْمَرَّةٌ ... يَكادُ يُفَطِّرُها نَقْدُهُ

أي يَشُقُّها عن دَمِها، والمِنْقَدَةُ : خُزَيْفَةٌ تُنْقَدُ عليها الجَوْزَةُ وكلُّ شيءٍ ضَرَبْتَه بإصبَعِكَ كنَقْد الجَوْز فقد نَقَدْتَه و،الطائرُ يَنقُدُ الفَخَّ أي ينْقُرُه بمِنْقار، والإنسانُ يَنْقُدُ بعَيْنِهِ إلى الشيءِ وهو مُداوَمَتُه النَّظَرَ واختِلاسُه حتى لا يُفطَنَ له وتقول : ما زالَ بَصَرُه يَنقُدُ إلى ذلك الشيءِ نُقوداً".(7)

أما صاحب المطلع فيورد رواية لخلف الأحمر قائلا:"قال خَلَف:

النقد في الأصل مصدر نقد الدراهم إذا استخرج منها الزيف وهو هنا بمعنى المنقود وهي الدراهم والدنانير.(8)

ثقافة الناقد:

لقد أدرك النقاد العرب منذ القدم أن من شروط الناقد أن يكون ذا مقدار من الذكاء و الطبع ، كما ظهر أن نقاد العرب عرفوا للأدب ملكات ثلاثة: منتجة، وناقدة. و متذوقة؛و عرفوا أن الناقد لابد أن يكون ذا طبع موهوب، حتى يستطيع أن يبين للنا ما أدركه هو من أسباب هذا الجمال.

وعرفوا كذلك أن الناقد في حاجة إلى حدة القريحة كي يتفطن إلى مواطن التوفيق ومكامن الإخفاق. و لم يقتصر نقاد العرب على الاعتداد بالطبع و الذكاء وحدهما في الناقد، بل رأوا ضروريا له أن يضيف إلى ذلك ثقافة واسعة، لا تقف عند شيء بعينه، بل تتطلب الإلمام بجملة من الثقافات.

فمعرفة الغريب وحدها لا تكفي، و كذلك لا يكفي معرفة الإعراب و الأيام والأنساب، بل لابد من ثقافة شاملة، و لذلك كان أدباء الكتاب ذوو الثقافة الواسعة هم أهل العلم بالشعر، و أحق الناس بتقديره و نقده في رأي الجاحظ.

وإذا كان الأديب المنتج في حاجة قصوى إلى الرواية و معرفة اللغة، فالناقد كذلك في حاجة إليهما كي لا يخطئ في معرفة الكلمة التي نطق بها الشاعر. و حينئذ يكون نقده صحيحا لا خطأ فيه. والشعر فيه الأسماء الغريبة، و اللغات المختلفة، و الكلام الوحشي، و أسماء الشجر والنبات و المواضع والمياه؛ و لذا اشتدت الحاجة بالناقد إلى الرواية.(9)

وبناء على الثقافة الواسعة والدراية بالرواية ، نجد الأسود الغندجاني- صاحب فرحة الأديب- يوجه انتقاداته اللاذعة إلى ابن السيرافي، محمّلا إيّاه عدم التثبت والتدقيق في الخبر المنقود.

-إنّ نقد النقد *Critique de la critique* عملية تقويمية للنقد الأول وتصويبة له من الزلل" على أنّ مصطلح (نقد النقد) في اللغة العربية قد يفهم منه أنه يعني أن النقد الثاني يسعى إلى نقد النقد الأول الذي يكتب عنه بنيّة الغمز و التهجين، ويدافع النّعي و التنقيص ،وهو أمر غير وارد في أصل المفهوم الغربي القائم على استعمال السابقة الإغريقية التي تعني الاحتواء والإيعاء، أو المجانبة والمُهامَشَة،دون أن تعني على وجه الضرورة،كبير عناية بتسليط الضياء على النقائص المنهجية، والضحالة المعرفية، والغثاثة التي قد تعتور أفكاره،و الضحالة التي قد تقارف نظرياته، والتي يمكن أن تقوم عليها أصول نزعة نقدية ما.فالنقد الثاني الذي يُكتب عن الأول، أو الثالث الذي قد يكتب عن الثاني، أو حتى الرابع الذي قد يكتب عن الثالث(لا يمتنع ذلك نظريا) ليس بالضرورة أن يكون من أجل المعارضة والمناوأة، ولكن من أجل إلقاء مزيد من الضياء على أصول المذهب النقدي و تبيان أصوله المعرفية، وتوضيح الخلفيات التي تستمد منها مرجعياته:على المستويين المعرفي والمنهجي جميعا" (10)

غير أن الناقد هنا في هذه الدراسة قد بالغ في نقده ، حتى يتحول أحيانا إلى شتم وسباب، وليس النقد كذلك. وسنرى إلى أي حد كان الناقد قاسيا على ابن السيرافي في نقده.

و الآن نشرع في قراءة بعض النصوص النقدية التي مارست نقد النقد على ما ذهب إليه ابن السيرافي عندما فسر أبيات كتاب سيبويه.

يقول الغندجاني في مفتتح كتابه "فرحة الأديب": بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين:

قال أبو محمد الأعرابي:

تأملت ما فسره أبو محمد يوسف بن الحسن بن عبد الله السيرافي من أبيات كتاب سيبويه، فوجدته فيها مثل ما قال جزء بن ضرار أخو الشماخ: قضيت أموراً ثم غادرت بعدها بوائج في أكمامها لم تفتق

وذلك أنه قد فسر من أبيات ذلك الكتاب غيضاً من فيض، والقليل الذي فسره فيه خلل كثير وفساد ظاهر. فكان كما قال بشر بن حكيم أخو بني ربيعة بن مالك

ما كثرت فينا عدي فتتقى ولا طاب إذ قلت عدي قليلها

فمن بيت صحف فيه، وشعر نسبه إلى غير قائله. ومعنى حرفه عن جهة الصواب، ولفظ عدل به عن مبانيه. فبنيت مواضع الخطأ من جميع ذلك، وأثبت الصواب تحت كل بيت، وخدمت به مجلس الرئيس أبي سعيد بندار بن جهشتيار. لأنه معدن الأدب، ومعني بعلم العرب، وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.(11)

والغندجاني هنا راح يتأمل ما توصل إليه ابن السيرافي في تفسيره لأبيات كتاب سيبويه اللغوي، غير أنه تفاجأ أن الناقد المفسر لم يوفق للصواب، ولم يحالفه الحظ في الإحاطة بعلم النقد، بل قد أحجم عن الاستفاضة في التفسير والبيان إلا قليلا. ثم إن القليل الذي تناوله بالدراسة "فيه خلل كثير و فساد ظاهر" والخلل و الفساد ظاهران في:

أ- بيت مصحف. ب- شعر منسوب إلى غير قائله. -معنى محرف عن جهة الصواب . -لفظ عدل به عن مبانيه.

ثم كان من الغندجاني أن بيّن مواضع الخلل وإعطاء البديل وإظهار الصواب في كل موطن من مواطن الزلل.

فالناقد عليه أن يشرح ما تنطوي عليه الأعمال الأدبية من طاقات إبداعية، يفتقر القراء والسامعون، بل والمشاهدون إلى الوقوف عليها، حيث يرتاد خضم العمل الفني،حاشدا شتى أجهزته، كي يستخرج من ذلك المجهود المعقد. شيئا جديدا، يحدده، وينظمه، ويبين لنا معالمه.وهكذا نرى أنه لابد لتقدير العمل الفني من معايير للقيمة، فإلى جانب مشاعر الناقد، يجب عليه فحص خصائص العمل الفني ذاته، فالناقد البصير بالعمل الإبداعي ، هو الذي يستشف في الأثر الفني ملامح جديدة، ظلت متباعدة منفصلة،حتى ساعة تناوله لها، فيسبغ على بعض عناصره أضواء فنية جديدة. تشبع

حاجتنا إلى الإحساس بالجمال، و لن يتوافر للناقد هذا الكشف، إلا بالتنظيم والتوجيه و القدرة على الحكم، حتى تبرز أمام القارئ العناصر المستترة المتوارية للعمل الفني، وراء شكله الظاهري.(12)

- قال الغندجاني في باب المصادر:

قال ابن السيرافي: قال سيبويه في باب المصادر، قال المرار:

لقد علمت أولى المغيرة أنني كررت فلم أنكل عن الضرب مسمعا

قال ابن السيرافي: "وجدت في هذا الباب البيت منسوباً إلى المرار، ورأيته في شعر مالك بن زغبة الباهلي، وكان بنو ضبيعة قد أغارت على باهلة، فلحقتهم باهلة وهزمتهم".

قال س: هذا موضع المثل:

وهل يشفين النفس من سقم بها غناءً إذا ما فارقت وركوب

لا يكاد يشفي المستفيد ما ذكره ابن السيرافي، سيما والقليل الذي ذكره مختل، والبيت لمالك بن زغبة الباهلي يعني مسمع بن شيبان أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان خرج هو وابن كدراء الذهلي، يطلبان بدماء من قتلته باهلة من بكر ابن وائل، يوم قتل أبو الأعشى بن جندل، فبلغ ذلك باهلة، فلقوهم فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت بنو قيس ومن كان معها من بني ذهل، وضرب مسمع بن شيبان فأفلت جريحاً.

والبيت أول أبيات، نظامها:

لقد عـــلمت أولى المغيرة أنني لحقت فلم أنكل عن الضرب مسمعاً

ولو أن سيفي لم يـخني صبيـــه لغادرت طـــيراً تعتفيه وأضـــبعا

وفر ابن كدراء السدوسي بعدما تناول مـــنه في المكـــــرة منزعا

أجتتم لكيما تستبيحوا حـــريمنا فصادفتم ضـــــرباً وطعناً مجدعا

فأبـــــتم خزايا صاغرين أذلةً شريجة أرمـــــاحٍ لأكتافكم معا(13)

إن الشيء الذي يتميز به الغندجاني في نقده للنقد، هو مجيئه دوما بمَثَل يناسب الحال التي يود معالجتها، و كذلك الهنة التي سقط فيها الناقد الأول- و هو هنا ابن السيرافي- ففي هذه الطريقة العجيبة لفتة جمالية، تضفي على العملية النقدية الثانية مسحة من المتعة و الجمال، حتى أن القارئ يسهل عليه مراد الناقد الثاني- الغندجاني- بمجرد إيراد المثل بقوله: قال

(س) كذا، و قال (س)، ثم يورد مثلا من الأمثال القديمة ، نثرا كان أم شعرا.

وقد يكون المثل المورود دالاً على التسرع في إيراد الحكم و العجلة في التأويل و التفسير، و قد يأتي في مكانه معبرا عن الغباوة والبلادة، كما يورده الناقد سخرية و تهكما، كما وجد أحيانا كون الناقد الأول- ابن السيرافي- يحشر أنفه في كل فن ، مع أنه يجيد اللغة والإعراب فقط، فلا داعي لأن يتوغل في مسائل قد تودي به إلى مكان سحيق ووهدة عميقة لا مخرج منها ، ويكون بذلك هدفا للطاعنين !! أو كما قال الغندجاني:" لما استهدف للسان الطاعنين، لكن الشقي بكل كف يصفع"(14)

يقول الغندجاني:" قال ابن السيرافي قال الجعدي:

وكيف تواصل من أصبحت خلالتـــــــه كأبي مرحب

قال: أبو مرحب من بني عمه، وأظنه من بني قشير، يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سببٍ كان احتاج إليه فيه.

قال س: هذا موضع المثل:

تنحلت نعت الخيل لا أنت قدتها ولا قادها جداك في سالف الدهر

لو اقتصر ابن السيرافي على ذكر الإعراب واللغة، ولم يعرض لذكر الرجال والأنساب، لما استهدف للسان الطاعنين، لكن الشقي بكل كف يصفع.

أبو مرحب هنا، الذي يقول لك إذا لقيك: أهلاً ومرحباً، وليس غير ذلك.

وبيت الجعدي في المعنى مثل بيت الكميت:

يراني في اللمام له صديقاً وشادنة العسابر رعبليـــــب

ومثل قول الآخر:

رجلٌ صديقٌ ما بدت لك عينه فإذا تغيب فاحترس من دعلج

ومثل قول الآخر:

صديق حضارة وصديق عين وليس لمن تغيب بالصديق.(15)

وهنا ينوح الغندجاني باللائمة على ابن السيرافي الذي لم يدقق في نقده، حينما تعرض لذكر الرجال و الأنساب، و ياليته اكتفى بموضوع الإعراب واقتصر على اللغة، ولو فعل هذا لكان خيرا له من أن يسل سيف الضاربين و لسان الطاعنين!!

بل إن الغندجاني يوغل في النقد و يشهر سيفه الصقيل المصلت في وجه ابن السيرافي قائلا:" لكن الشقي بكل كف يصفع

" و التهكم واضح و السخرية جلية في المثل الذي أورده :

تنحلت نعت الخيل لا أنت قدتها ولا قادها جداك في سالف الدهر

فالذي يصف الخيل ينبغي أن يحيط بها علما، و لا يحيط بها علما إلا من ركبها و قادها كابرا عن كابر!!

و الخطأ الفادح الذي ارتكبه ابن السرافي لما شرح البيت- في نظر الغندجاني- هو عندما قال: "أبو مرحب من بني عمه، وأظنه من بني قشير، يريد أن أبا مرحب قطعه وجفاه في سببٍ كان احتاج إليه فيه" فيرد عليه بأن أبا مرحب لم يكن في يوم من الأيام من بني عم الجعدي البتة، بل هو ذاك الرجل الذي يرحب بضيوفه في كل الأحوال قائلا لهم: أهلا و سهلا، و ليس هناك من تخريج آخر للبيت عدا هذا التخريج، ثم يدلّل على ما ذهب إليه من أبيات للشعراء العرب و ذكر منهم: الكميت على وجه التحديد.

والذي ينعم النظر في أمّات الكتب النقدية العربية القديمة ، يجد التركيز على التوسع في الثقافة و اكتساب المهارة النقدية عن طريق حيازة علم آلات علم البيان و أدواته، و يمكن أن ندلّل على هذه القضية بما كتبه ابن الأثير قائلا:

"اعلم أن صناعة تأليف الكلام من المنظوم والمنثور تفتقر إلى آلات كثيرة وقد قيل ينبغي للكاتب أن يتعلق بكل علم حتى قيل كل ذي علم يسوغ له أن ينسب نفسه إليه، فيقول: فلان النحوي، وفلان الفقيه، وفلان المتكلم؛ ولا يسوغ له أن ينسب نفسه إلى الكتابة فيقول: فلان الكاتب ؛وذلك لما يفتقر إليه من الخوض في كل فن . وملاك هذا كله الطبع فإنه إذا لم يكن ثم طبع، فإنه لا تغني تلك الآلات شيئا. ومثال ذلك كمثل النار الكامنة في الزناد والحديدة التي يقدح بها، ألا ترى أنه إذا لم يكن في الزناد نار لا تفيد تلك الحديدة شيئا؛ وكثيرا ما رأينا وسمعنا من غرائب الطباع في تعلم العلوم حتى إن بعض الناس يكون له نفاذ في تعلم علم مشكل المسلك صعب المأخذ؛ فإذا كلف تعلم ما هو دونه من سهل العلوم نكص على عقبيه ولم يكن له فيه نفاذ. وأغرب من ذلك أن صاحب الطبع في المنظوم يجيد في المديح دون الهجاء أو في الهجاء دون المديح، أو يجيد في المراثي دون التهاني ، أو في التهاني دون المراثي؛ وكذلك صاحب الطبع في المنثور .

ثم يشرع في تعداد ثمانية أنواع من الآلات ،كي يحوز الأديب علم البيان ، وذلك بعدما يركب الله تعالى في الإنسان طبعا قابلا لهذا الفن، فيفتقر حينئذ إلى ثمانية أنواع من الآلات:

النوع الأول : معرفة علم العربية من النحو والتصريف.

النوع الثاني: معرفة ما يحتاج إليه من اللغة وهو المتداول المألوف استعماله في فصيح الكلام غير الوحشي الغريب ولا المستكره المعيب.

النوع الثالث: معرفة أمثال العرب وأيامهم ومعرفة الوقائع التي جاءت في حوادث خاصة بأقوام فإن ذلك جرى مجرى الأمثال أيضا.

النوع الرابع: الاطلاع على تأليفات من تقدمه من أرباب هذه الصناعة المنظومة منه والمنثورة والتحفظ للكثير منه.

النوع الخامس: معرفة الأحكام السلطانية الإمامة والإمارة والقضاء والحسبة وغير ذلك .

النوع السادس: حفظ القرآن الكريم والتدرب باستعماله وإدراجه في مطاوي كلامه.

النوع السابع: حفظ ما يحتاج إليه من الأخبار الواردة عن النبي والسلوك بها مسلك القرآن الكريم في الاستعمال.

النوع الثامن: وهو مختص بالناظم دون الناثر وذلك علم العروض والقوافي الذي يقام به ميزان الشعر.(16)

- قال ابن السيرافي قال المرار:

أنا ابن التارك البكري بشرٍ عليه الطير ترقبه وقوعا

موضع ترقبه نصب على الحال، أي ترقب موته لتأكله.

علاه بضربة بعثت بليلٍ نوائحه وأرخصت البضوعا

قال: عنى بشر بن عمرو بن مرثد وقتله رجل من بني أسد، ففخر المرار بقتله. وبشر: هو بكر بن وائل. وأرخصت البضوعا: أي أرخصت الضربة اللحم على الطير. وزعم بعض الرواة أنه يعني بالبضوع بضوع نسائه، أي نكاحهن. يقول: لما قتلوه سبوا نساءه فنكحوهن بلا مهر. والبضوع: النكاح. والتفسير الأول أعجب إلي.

قال س: هذا موضع المثل:

أصبحت من ذكر أرجوانة كال مرسل ماءً فأمسك الزبدا

ما أكثر ما يرجح ابن السيرافي الرديء على الجيد، والزائف على الجائز، وذلك أنه مال إلى القول بأن البضوع هنا اللحم، ولعمري إنها لو كانت لحوم المعزى والإبل لجاز أن يقع عليها اسم الرخص والغلاء، وهذه غباوة تامة.

والصواب أنهم لما قتلوه عرضوا نساءه للسباء، لأنه لم يبق لهن من يحميهن ويذود عنهن. ثم إنه لم يذكر قاتل بشر من أي قبائل بني أسد كان، وإذا لم تعرف حقيقة هذا، لم يدر لأي شيء افتخر المرار بذلك.

وقاتله سبع بن الحسحاس الفقعسي، ورئيس الجيش جيش بني أسد ذلك اليوم: خالد بن نضلة الفقعسي وهو جد المرار بن سعيد بن حبيب بن خالد ابن نضلة.

وكان من حديث هذا اليوم - وهو يوم قلاب - أن حياً من بني الحارث بن ثعلبة بن دودان، غزوا وعليهم خالد بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس، فقالوا لكاهن لهم: انظر هل يخبرك صاحبك عن الماء، فتسجى بثوبه، فأتاه شيطانه، فقال: اركبوا شنخوبا وطبلالا، فاقتاسوا الأرض أميالاً، فإنكم سترون قارات طوالا، وإن بينهن بلالا. فحملوا رجلاً منهم على أحد الفرسين، فأجراه فوجد قارات بينهن غدير من ماء السماء، فاستقى القوم وسقوا وأكلوا تمراً من زادهم. فاعترض بشر بن عمرو لآثارهم فقال: هذه آثار بني أسد، فلما وردوا الماء قال: انظروا ما يصنعون بالنوى، إن كان بني أسد فإنهم يطرحون النوى من خلفهم، وإن كانت تميم فإنهم يرمون النوى من بين أيديهم. فلما وجدوا مطرح نواهم قال: هذه بنو الحارث بن ثعلبة، يأسر أحدهم عقاص المرأة، ويفدي بالمئة، عليكم القوم. قال له ابنه: إن في بني الحارث بن ثعلبة بن فقعس، وإن تلقهم تلق القتال. فقال اسكت، فإن وجهك شبيه بوجه أمك عند البناء. فنفذ القوم. فلما التقوا هزم جيش بشر، فأتبعته الخيل وهو مجيد - أي صاحب أفراس جياد - حتى توالى في أثره ثلاثة فوارس وما بينهم قريب. فكان أولهم سبع بن الحسحاس الفقعسي، وأوسطهم عميلة بن المقتبس الوالبي، وآخرهم خالد بن نضلة. فأدركت نبل الوالبي الأوسط فرس بشر بن عمرو برمية رماه بها فعقرته، ولحقه سبع فاعتنقه ، وجاء خالد وقال: يا سبع لا تقتله فإنا لا نطلبه بدم، وعنده مال كثير، وهو

سيد من هو منه. فأجلساه بينهما واعتزل الوالبي، وأتتهم الخيل، فإذا مر به رجل أمرهم بقتله، حتى جعل بعض القوم يوعده فيزجر عنه خالد، ثم إن رجلاً هم أن يوجه إليه السنان، فنشز خالد على ركبتيه وقال: اجتنب إليك أسيري. فغضب سبع أن يدعيه خالد، فدفع سبع في نحربشر فوقع مستلقياً فأخذ برجله ثم أتبع السيف فرج الدرع حتى خاض به كبده. فقال بشر: أجيروا سراويلي فإني لم أستعن. ثم أرسله، وعمد إلى فرسه فاقتاده. فقال حين قتله وهو غضبان: أسيرك وأسير أبيك. فقالت الخرنق تعير عبد عمرو بن بشر حين حضض على طرفة والمتلمس:

هلا ابن حسحاسٍ قتلت وخالداً هنالك لم تقتل هناك ولم تشر

هم طعنوا أباك في فرج درعه ووليت لا تلوي على مجحر تجري.(17)

و في باب التسرع و عدم التثبت من قبل ابن السيرافي، يلوم الغندجاني صاحبه المنقود كونه أوّل الجياد بأنه قبيلة، و الأصوب أنها الخيل العتيقة و الأصيلة!!

يقول:" قال ابن السيرافي قال شقيق بن جزء الباهلي، يرد على جحل بن نضلة الباهلي:

أتوعدني بقومك يا بن جحلٍ أشـــــابات يخالون العبادا

بما جمعت من حضنٍ وعمروٍ وما حضنٌ وعمروٌ والجيادا

إذا خطرت بنو سعـد ورائي وذادوا بالقنا عني ذيـــادا

قال: يخالون: يظنون أنهم عبيد، وحضن وعمرو والجياد: قبائل.

قال س: هذا موضع المثل:

كري إلى أهلك يا عجوز إن بياع الليل لا يجوز

هذا أفضح ما جاء به ابن السيرافي، وذلك أنه ذكر أن الجياد قبيلة، وهذا يدل على غباوة تامة وجهل ظاهر. إن الجياد ها هنا عتاق الخيل، يقول: ما هؤلاء وعتاق الخيل، أي ليسوا فرسان الخيل العتاق.

وقوله: وعنى بالعباد ها هنا العبيد، خطأ أيضاً. فإنما عنى بالعباد قوماً كانوا يجتمعون على باب النعمان خولاً من كل قبيلة. شبه هؤلاء بأولئك، أي أنهم أخلاط. والبيت الأول فيه خبط أيضاً، وذلك أنه قال: أتوعدني بقومك يا بن جحل، وإنما الخطاب لجحل نفسه لا لابنه، فكيف يقول يا بن جحل، والصواب: أتوعدني برهطك يا جحيلاً.

وفي الأبيات التي أوردها تقديم وتأخير وخلل كثير، وستأتيك على نظامها بمعونة الله.(18)

وفي الشاهد النقد التالي، ينتقد الغنجاني صاحبه لأنه لم يعرق أيام العرب، و خاصة يوم الرقم، يوم انتصار بني مُرّة.

يقول:" قال ابن السيرافي قال عامر بن الطفيل:

قالوا لها إنا طردنا خيلـه قلح الكلاب وكنت غير مطرد

فلأبغينكم قناً وعوارضاً ولأقبلن الخيل لابة ضـــرغد

قال: قوله "قالوا لها" يعني لامرأةٍ كان يهواها من بني فزارة يقال لها أسماء، يعني أن بني فزارة ذكروا لها أنهم هزموه وطردوه، وكان بين بني فزارة وبني عامر وقعة كانت على بني عامر، وقتل فيها جماعة، وضرغد مكان معروف.

قال س: هذا موضع المثل:

لا تدرك الخيل وأنت تذأل إلا بمرٍّ مر الأجـــــدل

لا يعرف معنى هذا الشعر إلا بمعرفة ما يتعلق به من الأيام، ثم إذا لم يعرف: ضرغد وقنا وعوارض، حقيقة أنها في أي موضع من المواضع من بلاد الله – لم يعرف المخاطب بقوله.

وإنما قال هذا عامر يوم الرقم، يوم هزمتهم بنو مرة، ففر عامر، واختنق أخوه الحكم بن الطفيل. وفي ذلك اليوم قتل عقبة بن أنيس بن خليس الأشجعي مئة وخمسين رجلاً من بني عامر، أدخلهم شعب الرقم فذبحهم، فسمي عقبة ذلك اليوم مذبحاً.

وقنا وعوارض جبلان من بلاد بني فزارة. وفيها يقول الشماخ بن ضرار:

كأنها وقد بدا عـــوارض
وأدبيٌّ في السراب غامض
والليل بين قنوين رابـض
بجيزة الوادي قطا نـواهض

والمخاطب بشعر عامر بنو مرة وفزارة، وأسماء هي أسماء السكينية من بني فزارة، كان يهواها عامر ويشبب بها في شعره، وكان قد فجر بها، وفيها يقول:

أنازلةٌ أسماء أم غير نازله أبيني لنا يا أسم ما أنت فاعله

وفيها يقول خراشة العبسي في يوم الرقم:

فمن مبلغٌ عني خليلي عامراً أسليت عن أسماء أم أنت ذاكر
فإن وراء الجزع غزلان أيكةٍ مضـــــــمخةً آذانها والغفائر

وضرغد من مياه بني مرة.(19)

والناقد هنا يؤكد على قضية خطيرة في ممارسة عملية النقد الأدبي، و هي العلم بأحوال العرب وأيامهم و حروبهم وغاراتهم، وما وقع في غابر أزمانهم ، كالإحاطة مثلا بيوم داحس والغبراء، وحرب البسوس ويوم حليمة، ويوم بعاث ، وحرب الفجار ، وغيرها من الحروب و أيام العرب التي باتت أشهر من نار على علم.

فالناقد الذي لا يتبحر في المعرفة بهذه الأيام قد تزل قدماه و يخطئ خطأ فادحا، كما وقع لابن السيرافي –حسب ماقاله الغندجاني.

وقد يمارس الناقد عمله النقدي على أشعار، مفسرا و مؤوّلا و مرجّحا في بعض الأحيان، و لكن قبل هذا عليه أن يتسلح بالأدوات الإجرائية التي تمكنه من كل ذلك ، ولهذا " تعتبر أيام العرب في الجاهلية مصدرا خصبيا من مصادر التاريخ، و

ينبوعا صافيا من ينابيع الأدب، و نوعا طريفا من أنواع القصص؛ بما اشتملت عليه من الوقائع و الأحداث، و ما رُوي في أثنائها من نثر و شعر، و ما تدسّى خلالها من مأثور الحكم و بارع الحيل، و مصطفى القول و رائع الكلام.

فهي توضح شيئا من الصلات التي كانت قائمة بين العرب و غيرهم من الأمم كالفرس و الروم، و تروي كثيرا مما كان يقع بين العرب القحطانيين والعدنانيين من خلاف، وبين العدنانيين أنفسهم من أسباب النزاع؛ بل إنها سبيل لفهم ما وقع بين العرب بعد الإسلام من حروب شجرت بين القبائل، ووقائع كانت بين البطون والأفخاذ والعشائر.

ثم هي في أسلوبها القصصي، وبيانها الفني مرآة صافية لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب الحياة الدائرة بينهم، وشأنهم في الحرب والسلم، والاجتماع والفرقة، والفداء و الأسر، والنجعة والاستقرار؛ وهي أيضا مرآة صادقة تظهر فيها فضائلهم وشيمهم؛ كالدفاع عن الحريم، والوفاء بالعهد، والانتصار للعشيرة، وحماية الجار، والصبر في القتال، والصدق عند اللقاء، وغير هذا مما تراه واضحا في تلك الأيام.

وما تحدث به الرواة من أخبار مساعير الحرب، وما امتلأت به الكتب من ذكر المغاوير من أبطال الوقائع؛ هذه الأيام هي مورد أقاصيصهم، وساحة بطولتهم، ومسرد حوادثهم، فبسطام بن قيس سيد شيبان، وربيعة بن مكدم فارس كنانة، ودريد بن الصمة قائد جشم، وجسّاس بن مرة قاتل كليب، وهاشم بن حرملة صاحب الشماء...هؤلاء و غيرهم من قروم الحرب وأحلاس الخيل قد سجلوا في هذه الأيام مواقف ومغاورات تملأ القلوب دهشة وإعجابا.ولم تخلُ هذه الحروب من زعماء قبائل، ورؤساء عشائر، كانوا في زعامتهم ورياستهم مُثلا عليا في نصاحة الرأي، و إصابة المحزّ، والتهدّي إلى مواطن الصواب؛ وفيما أُثر عن أكثم بن صيفي، وقيس بن عاصم المنقري،

و الحارث بن عباد البكري، وعبد الله بن جُدعان القرشي ما هو جديد على الزمن، باقٍ على مرّ العصور.(20)

ولقد اهتم ابن رشيق-صاحب العمدة- بقضية وجوب حصول الشاعر وحاجته إلى مواد الثقافة قائلا:" والشاعر مأخوذ بكل علم، مطلوب بكل مكرمة؛ لاتساع الشعر واحتماله كل ما حمل: من نحو، ولغة، وفقه، وخبر، وحساب، وفريضة، واحتياج أكثر هذه العلوم إلى شهادته، وهو مكتف بذاته، مستغن عما سواه؛ ولأنه قيد للأخبار، وتجديد للآثار. وصاحبه الذي يذم ويحمد ويهجو ويمدح، ويعرف ما يأتي الناس من محاسن الأشياء وما يذرونه، فهو على نفسه شاهد، وبحجته مأخوذ.

وليأخذ نفسه بحفظ الشعر والخبر، ومعرفة النسب، وأيام العرب؛ ليستعمل بعض ذلك فيما يريده من ذكر الآثار، وضرب الأمثال، وليعلق بنفسه بعض أنفاسهم ويقوى بقوة طباعهم، فقد وجدنا الشاعر من المطبوعين المتقدمين يفضل أصحابه برواية الشعر، ومعرفة الأخبار، والتلمذة بمن فوقه من الشعراء، فيقولون: فلان شاعر راوية، يريدون أنه إذا كان راوية عرف المقاصد، وسهل عليه مأخذ الكلام، ولم يضق به المذهب، وإذا كان مطبوعاً لا علم له ولا رواية ضل واهتدى من حيث لا يعلم، وربما طلب المعنى فلم يصل إليه وهو ماثل بين يديه؛ لضعف آلته: كالمقعد يجد في نفسه القوة على النهوض فلا تعينه الآلة. وقد سئل رؤبة بن العجاج عن الفحل من الشعراء، فقال: هو الراوية، يريد أنه إذا روى استفحل.(21)

- قال ابن السيرافي قال شقيق بن جزء بن رياح الباهلي:

وعاد عليه أن الخيل كانت طرائـــق بين منقـــيةٍ ورار

كأن عذيرهم بجنوب سلى نـــعامٌ فاق في بـــلدٍ قفـــار

قال: سلى موضع بعينه. وكانت بنو ضبة غزت باهلة، وعليهم حكيم بن قبيصة بن ضرار الضبي، فهزمتهم باهلة، وجرحوا حكيماً، وقتلوا عبيدة الضبي.

قال س: هذا موضع المثل:

آب الكرام بالسبايا غنيمةً وآب بنو نهد بأيرين في سفط

جاء ابن السيرافي بغلطين فاحشين في تفسير هذا الشعر، لأنه ذكر أن بني ضبة أغارت على بني باهلة، فهزمتهم باهلة. وهذا بجهله بسلى أنها في بلاد باهلة أو ببلاد ضبة، وجاء بالأبيات أيضاً متفرقة لا متوالية، وفيها أيضاً تقديم وتأخير.

والصواب ما أملاه علينا أبو الندى رحمه الله قال: أغار شقيق بن جزء الباهلي على بني ضبة بسلى وساجر، وهما روضتان لعكل، و إياهما عنى سويد ابن كراع بقوله:

أشت فؤادي من هواه بساجرٍ وآخر كوفي هوىً متباعد

وضبة وعكل وعدي وتيم حلفاء متج اورن، وفيهم يقول لقيط بن زرارة:

ألا من رأى العبدين إذ ذكرا له عدي وتيمٌ تبتغي من تحالف

فحالف فلا والله تهبط تلعةً من الأرض إلا أنت للذل عارف

وضبة عبدٌ ثالث لا أخا له كما زيف النمي بالكف صارف

رجع إلى الحديث - فهزمهم، وأفلت عوف بن ضرار في ذلك اليوم، وحكيم بن قبيصة بن ضرار بعد أن جرح، وقتلوا عبيدة بن قضيب الضبي. وقال شقيق بن جزء في إفلات عوف بن ضرار:

أفلتنا لدى الأسلات عوفٌ لدى الورهاء تطعن في اللجام

وكان هو الشفاء فأحرزته صنيع المتن رابية الحزام

كأن حمامة ورقاء يرمى بها الرجوان من ورق الحمام

أهان لها الطعام فلم تضعه غداة الروع إذ أزمت أزام

وقال شقيق في يوم سلى:

لقد قرت لهم عيني بسلى وروضة ساجرٍ ذات العرار

جزيت الملحين بما أزلت من البوسى رماح بني ضرار

نكسر في متونهم العـــوالي وتمضي السمهرية في انئطار
وأفلــت من أستنا حكيــمٌ جريضاً مثل إفلات الحمار
وعاد إليه أن الخيل كـــانت طرائق بين منقيةٍ ورار.(22)

كما نجد الغندجاني يصوب ابن السيرافي، و يتّهمه بالتصحيف و التحريف. ويشتد عليه، بأنه لو كان له حياء لما أقبل على هذا الصنيع الذي كان في غنى عنه.ثم يقول إن صدر البيت الشعري هو: ألم تر ما بالجزع من ملكان ، و ليس كما نقل وصحّف ابن السيرافي: ألم تركم بالجزع من ملكات!

يقول: قال ابن السيرافي قال عامر بن جوين الطائي:

ألم تركم بالجزع من ملكات وكم بالصعيد من هجانٍ مؤبلـــه
ولم أر مثلها خباسة واحـــدٍ ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله

قال: الجزع: منعطف الوادي، وملكات جمع ملكة، والصعيد: وجه الأرض.
قال س: هذا موضع المثل:

رويد يأتين على سـواج
هناك يبدو خبر الأعلاج
والقين والكربج والنساج

هذا أرقع ما جاء به ابن السيرافي، ولو كان له حياء لما استحسن لنفسه أن يدخلها في مثل هذا التصحيف الشنيع، ولكن لا دواء لمن لا حياء له.

والصواب: ما بالجزع من ملكان، وملكان: جبل من بلاد بني طيء، وكان يقال له: ملكان الروم، لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية مرة. وأنشد أبو الندى رحمه الله:

أبى ملكان الروم أن يشكروا لنا ويومٌ بنعف القور لم يتصرم

قال: ونظير ملكان في الوزن ورقان، وهو الذي يقول فيه الخضري – وهو من بني خضر بن محارب بن خصفة – :

لو أن الشم من ورقان زالت وجدت مودتي بك لا تزول

فقل لحمامة الخرجاء سقياً لظلك حيث يدركك المقيل

ونظيره أيضاً بدلان، وهو الذي ذكره امرؤ القيس: ليالينا بالنعف من بدلان

ونظير ذلك كثير. وهذه الأبيات قالها عامر بن جوين الطائي في هند أخت امرئ القيس بن حجر، لما هرب من النعمان بن المنذر، ونزل عليه، فأراد عامر الغدر به، فتحول عنه. وهي:

أأظعان هندٍ تلكم المتحمله لتحزنني أم خلتي متدلله

فما بيضةٌ بات الظليم يحفها ويفرشها زفاً من الريش مخمله

ويجعلها بين الجناح ودفه إلى جؤجؤ جاف بميثاء حوملة

بأحسن منها يوم قالت:ألا ترى تبدل خليلاً إنني متبدله

ألم تر ما بالجزع من ملكان وما بالصعيد من هجان مؤبله

فلم أر مثلها خباسة واحد ونهنهت نفسي بعد ما كدت أفعله.()

وهذا الذي ذهب إليه الغندجاني يؤكده ياقوت الحموي –صاحب معجم البلدان – قائلا:"

ملكان بلفظ تثنية الملك واحد الملائكة ،جبل بالطائف وقيل ملكان بكسر اللام واد لهذيل على ليلة من مكة، وأسفله لكنانة وحكى الأسود عن أبي الندى : أن ملكان جبل في بلاد طيء، وكان يقال له: ملكان الروم لأن الروم كانت تسكنه في الجاهلية، وأنشد لبعضهم:

أبى ملكان الروم أن يشكروا لنا ويوم بنعف القفر لم يتصرم

وقال عامر بن جوين الطائي:

أأظعان هند تلكم المتحملـــــه لتحزنني أم خـــــلتي المتدلله
فما بيضة بات الظـــــليم يحفها ويفرشها زفا من الريش مخمله
ويجعلها بين الجناح وزفه إلى جـــو جـــــوجان بميثاء حـــوملة
بأحسن منها يوم قالت ألا تـــرى تبـــــدل خليلا إنني متـــبدله
ألم تركم بالجزع من ملكاننا ومـــا بالصعيد من هجان مؤبلـــه
فلم أر مثلينا جباية واحد ونهنهت نفسي بعدما كدت أفعله.(24)

وهذا الصنيع الذي سلكه الأسود الغندجاني مع ابن السيرافي، نجده قد سلكه مع ابن الأعرابي و الذي يتهمه أيضا بالتحريف و التصحيف، و قد أورد هذا ياقوت قائلا:" باب اللام والباء وما يليهما: لبا صوابه أن يكتب بالياء وإنما كتبناه هنا بالألف على اللفظ وهو بكسر أوله؛ أنشد محمد بن أبان الأعرابي:

مررنا على لبنى كأن عيونـــــنا من الوجد بالآثار حمر الصنوبر

وردّ أبو محمد الأسود الغندجاني فقال: هذا الشعر لتميم بن الحباب أخي عمير بن الحباب السلمي؛ قال: وصحف في حرف منه وهو قوله: مررت على لبنى وإنما هو لبا وهو بين بلد والعقر من أرض الموصل ،وأنشد الأبيات بكمالها:

جزى الله خيرا قومنا من عشيرة بني عامر لما استهـلوا بخنجـر
هم خير من تحت السمـــاء إذا بدت خدام النسا مسته لم يتغير
هم بردوا حر الصدور وأدركوا بوتر لنا بين الفريقين مـــدبر
ومروا على لبى كأن عيونهـــم من الوجد بالآثار حمر الصنوبر
فبتنا لهم ضيفا علينا قراهـــم وكان القـــرى للطارق المتنور
نحق قراهم آخـــر الليل بالقنا وبيض خفاف ذات لون مشهر
بقرنا الحبالى من زهـير ومالك ليأس قوم من رجاء التجبر.(25)

وفي الفقرة النقدية التالية يعيب الغندجاني مرة أخرى على ابن السيرافي، عدم معرفته بعلم النسب حتى يكون مؤهلا لنقد الشعر، و إلاّ فلا. مستندا إلى أنّ الشاعر قائل البيت الشعري هو من بني تغلب يهجو آخر من قبيلته و ليس من قبيلة بني بكر، و لو كان ابن السيرافي يعلم هذا لما وقع في الزلة التي شنعت عليه من طرف الناقد.ثم يصرح الناقد باسم الشاعر قائلا: "وقائل البيت عتبة بن الوغل التغلبي، يهجو كعب بن جعيل التغلبي" فكلا الرجلين من تغلب الهاجي و المهجو!

يقول: قال ابن السيرافي قال الشاعر:

وأنت مكانك من وائـــــلٍ مكان القراد من است الجمل

يعني أنه أخس قبائل بكر بن وائل وأوضعها، فإنه في خسة المنزلة وسقوطه لا يلتفت إليه، مثل القراد يتعلق باست الجمل.

قال س: هذا موضع المثل:

فلو كان يكفي واحداً لكفيته ولكن بريشٍ ما يطيرن طـــائر

كيف يكون هذا المهجو أخس بكر بن وائل وهو رجل من بني تغلب، وهذا أيضاً لجهل ابن السيرافي بالنسب الذي لا بد منه في معرفة مثل هذا من الشعر.

وقائل البيت عتبة بن الوغل التغلبي، يهجو كعب بن جعيل التغلبي، فهو إذا أخس بني تغلب لا أخس بني بكر بن وائل. وهي قصيدة مليحة، أولها:

عسى أن تريع بسلمى النـوى ويجـــمع ربي شتيت الأمـل

سبتني بأشنب شتـــــى النبا ت عذب المقبل صافٍ رتـــل

وفيها يقول:

وسميت كعباً بشر العظـــام وكـــان أبوك يسمى الجعـــل

وأنت مكانك من وائـــــلٍ مكان القراد من است الجـــمل

أي كمكان القراد، أي أنت في مآخير القوم.(26)

و في الشاهد النقدي الموالي، يضجر الغندجاني من ابن السيرافي، كونه جاء ببيت شعري و لم يذكر قائله على وجه التحديد، بل قال:(قال رجل من خثعم)، بالرغم من شهرة قائل هذا البيت- و هو من قصيدة شعرية- ثم لم يكلف نفسه عناء سبب قوله هذا الشعر و لا مناسبته التي قيل فيها!!

يقول:" قال ابن السيرافي قال رجل من خثعم:

عزمت على إقامة ذي صباحٍ لأمرٍ ما يسود من يسود

قال: يريد عزمت على الإقامة إلى وقت الصباح، لأني رأيت الرأي والحزم يوجبان ذلك.

قال س: هذا موضع المثل:

كل فضل من أبي كعبٍ درك

القدر الذي ذكره ابن السيرافي في تفسير هذا البيت كثير منه، وذلك أنه لم يعرف قائل البيت، ولا السبب الذي أوجب قوله: عزمت على إقامة ذي صباح

وهذا البيت هو لأنس بن مدرك الخثعمي، وذلك أنه غزا هو ورئيس آخر من قومه بعض قبائل العرب متساندين، فلما قربا من القوم أمسيا، فباتا حتى جن عليهم الليل، فقام صاحبه فانصرف ولم يغنم، وأقام أنس حتى أصبح، فشن عليهم الخيل، فأصاب وغنم وغنم أصحابه. فهذا معنى قوله:

عزمت على إقامة ذي صباح

وهو آخر الأبيات.

قال أبو الندى: كان أنس مجاوراً لبني الحارث بن كعب، فوجد أصحابه منهم جفاءً، فأرادوا أن يفارقوهم، فقال لهم: أقيموا إلى الصباح. فلما ظفر بنو الحارث ببني عامر يوم فيف الريح، قال عند ذلك ما قال. وأول الأبيات:

دعوت بني قحافة فاستجابوا فقلت ردوا فقد طاب الورود

دعوت إلى المصاع فجاوبوني بوردٍ ما ينهنهه المزيد

كأن غـــــمامةً برقت عليهم من الأصياف ترجسها الرعود
عزمت على إقامة ذي صبـــاحٍ لأمرٍ ما يسود من يسود .(27)

وفي الفقرة التالية يحصي الناقد على ابن السيرافي ثلاثة أخطاء فادحة، منها عدم الثبت في نسبة البيت، ثم تغيير القافية وتحريفها، وأخيرا لم يحالفه الصواب في معرفة المهجو!

يقول الغندجاني: قال ابن السيرافي قال جرير:

أبالأراجيز يا بن اللؤم توعدنـــي وفي الأراجيز -خلت- اللؤم والخور

قال: أراد بهذا الكلام عمر بن لجأ، يقول: أتهددني بالأراجيز، وفي الأراجيز خلت لؤم الشعراء وخورهم.

قال س: هذا موضع المثل:

لا در در ابني قريعة بعدها في بدء وافدةٍ ولا تعقيب

لم يوفق ابن السيرافي للصواب في هذا البيت، بل أخطأ فيه من جهتين:

الأولى أنه نسب البيت إلى جرير، وإنما هو للعين المنقري.

والثانية أنه غير القافية من الفشل إلى الخور.

وأخطأ من جهة ثالثة أيضاً، وهو أنه جعل هذا البيت هجاء لعمر بن لجأ التيمي، وهو هجاء لرؤبة بن العجاج.

والأبيات للعين المنقري يهجو رؤبة، وهي:

إني أنا ابن جلا إن كنت تعرفني يا روب والحية الصماء في الجبل.(28)

وبعد؛ فإنّ هذه المتقيات النقدية، غيض من فيض الشواهد التي طفحت في كتاب"فرحة الأديب" للأسود الغندجاني الذي استطاع أن يمارس نقدا على نقد، أو مصطلح (نقد النقد) كما يسمى في النقد الحديث.

و هذه الدراسة و غيرها؛ التفاتة إلى ما في التراث العربي و الإسلامي من كنوز مطمورة، و درر مثورة، حري بالمهتم بالتراث العربي أن يتلفّت إليها و أن ينفض الغبار عنها، و ينعم النظر فيها؛ و يجليها للقارئ الكريم و للنشء الصاعد حتى يعرفها عن كثب و يعلم أن العرب قد ضربوا بسهامهم في باب النقد ، و في نقد النقد، إن لم يكونوا قد حازوا قصب السبق قبل غيرهم، فعلى الأقل كانوا كفرسي رهان وسط حلبة السباق!

الإحالات والهوامش

(1) (فرحة الأديب/ الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي المعروف بالأسود الغندجاني ،طبعة :دمشق سنة 1981م بتحقيق الدكتور محمد علي سلطاني).

(2) (ينظر: الأعلام / خير الدين الزركلي،ج2،ص:180)

(3) (الوافي في الوفيات/ صلاح الدين الصفدي، ج: 1 ، ص:1613)

(4)(ينظر: معجم البلدان/ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي،دار الفكر-بيروت،د ت ج:3،ص: 41 ،ج:4،ص:81،ج:5،ص:194)

(5) (ينظر معجم البلدان/ ياقوت الحموي،ج3،ص:10،ج3،ص:380، ج:4،ص:81،ج:5،ص:189)

(6) (القاموس المحيط/ محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،ص:412)

(7)(كتاب العين/ أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي،دار و مكتبة الهلال، تحقيق:د مهدي المخزومي و د إبراهيم السامرائي،ج5،ص:118- 119)

(8)(المطلع على أبواب الفقه/ أبو عبد الله محمد بن أبي الفتح البعلي الحنبلي،المكتب الإسلامي -بيروت 1981،تحقيق:محمد بشير الأدلبي،ص:265)

(9)(أسس النقد الأدبي عند العرب/ د أحمد أحمد بدوي،نهضة مصر للطباعة و النشر و التوزيع- القاهرة- 1996،ص:82).

(10)(في نظرية النقد:متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة و رصد لنظرياتها/ د عبد الملك مرتاض،دار هومة- بوزريعة-الجزائر،ط:2002،ص:227).

(11)(فرحة الأديب/ الأسود الغندجاني،ص:1-2).

(12)(ينظر:وظيفة الناقد الأدبي بين القديم و الحديث/ د سامي منير،دار المعارف-القاهرة،1984،ص:5-6).

(13)(فرحة الأديب،ص:4-6)

(14)(فرحة الأديب،ص:10).

(15)(فرحة الأديب، ص:10-11)

(16)(ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر/ ضياء الدين ابن الأثير، المكتبة العصرية- بيروت-1995،تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ج1،ص:27-29)

(17) (فرحة الأديب،ص:16-20)

(18)(فرحة الأيب،ص:33-34)

(19)(فرحة الأديب،ص:53-56)

(20)(أيام العرب في الجاهلية/ محمد أبو الفضل إبراهيم و علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية-صيدا-بيروت،لبنان،ط2003،1، من المقدمة).

(21) (العمدة في محاسن الشعر و آدابه و نقده / أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي،دار الجيل للنشر و التوزيع و الطباعة،بيروت-لبنان،ط5- 1981 ،ج1،ص:196-197)

(22) (فرحة الأديب، ص:81-84)

(23)(فرحة الأديب، ص:90-93)

(24) (معجم البلدان/ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الفكر-بيروت،د ت ،ج5،ص:194)

(25) (معجم البلدان/ أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، ج:5،ص:9)

(26) (فرحة الأديب، ص:104-106)

(27)(فرحة الأديب، ص:109-111)

(28) (فرحة الأديب، ص:111-112)